

## كولن باول تحت المساءلة: لم يخطئ، بل كذب

كتاب جديد يعري حراس المثالية والضمير قبل احتلال العراق



من هم حراس المثالية وحراس الضمير؟

من يناير عام 2003 تُقِيم فيها البيانات التي سيليقيها باول أمام مجلس الأمن القومي التابع للأمم المتحدة.

### خداع لم يدم طويلا

على الرغم من أن باول تراجع في مقابلة إخبارية عام 2005 عن ثقته المفرطة في رواياته، وقال إن هناك بعض الأفراد في المخابرات يعلمون أن مصادره لا يمكن التعميل عليها، لكنه أضاف أنهم لم يخبروه آنذاك، وأنه دُمر حين أدرك ذلك. لكن تلك البراعة تناقض ما قاله مدير مكتب الانتشار العسكري والقضايا الاستراتيجية في مقابلة مع برنامج «60 دقيقة» المشهور، حيث أكد أن باول كان على وعي تام بالهفوات الموجودة في شهادته، لكن ولاه لبوش كان أكبر.

لكي يثبت باول أنه لا يبدل سوى الصل العسكري، وأنه لا اختيار أمام رئيسه سوى الغزو، خدع العالم كله وكذب في أروقة الأمم المتحدة، وأرسل قوات التحالف والجنود الأميركيين ليقتلوا في جنود وأبناء العراق، فكان القاتل والقَتيل ضحايا كذبة كبيرة شديدا كولن باول.

قبل تلك المحادثة التي جرى اعتراضها نقل باول حادثة أخرى، اجتمع القادة العسكريون العراقيون مع ضباط وقادة الحرس الجمهوري العراقي، اتفقوا جميعا على التوقيع على كل الوثائق التي تطلبها الأمم المتحدة لتتأكد من عدم امتلاكهم لأسلحة الدمار الشامل. كما أخبرهم أحد القادة أن الحكومة العراقية سوف تحمل المسؤولية كاملة لأي ضابط تجد الأمم المتحدة شيئا يثير الشك في وحدته، أو يلقي بظلال من الريبة على التعاون بين العراق والامم المتحدة. لكن للمرة الثانية صاغ باول الأمر بان العراقيين اجتمعوا ليتأكدوا من أنهم أخفوا الأسلحة المحظورة بصورة جيدة.

ولم يتم تسليط الضوء إعلاميا على كذب باول في ما يخص العراق، لكن التشكيك في روايته عن الأمر لا يقتصر على بلدان الشرق الأوسط أو مناهضي الولايات المتحدة، بل وزارة الخارجية الأميركية نفسها. هيئة المخابرات في وزارة الخارجية أعدت عدة منكرات في التاسع والعشرين

الاستخبارات الأميركية بين ضباط عراقيين يتحدثون عن تفتيش وكالة الطاقة الذرية للمنشآت العراقية. المحادثة كانت دليلا واضحا على أن النظام العراقي يستجيب لتوصيات الأمم المتحدة بالتخلص من أسلحته المحرمة وذات القدرات التدميرية العالية، فيامر أحد الضباط ضابطا آخر بالتأكد من التخلص من كل الأسلحة التي لا تريدها الأمم المتحدة.

ويامر الضابط في جانب آخر من المحادثة رفاقه بالتخلص من كل الخردوات والأسلحة المعطوبة المتراكمة في الأماكن المهجورة حتى لا تعطى انطباعا سيئا عن صورة العراق. لكن باول ترجم الأمر برمته بأنهم يحاولون إخفاء أسلحة أشد فتكا عن أعين العالم، واستطاع باول أن يجذب الأنظار نحو تفسيره هو للحديث لا نحو الحديث ذاته.



كولن باول الجمهوري والعسكري السابق، يظهر ذلك بوضوح في هذا الكتاب الذي يعد من بين أهم الوثائق عن حرب احتلال العراق بعد أقل من عقدين على اندلاعها من دون أن تنتهي.

لا ينسى كتاب روبرت دريبر الإشارة إلى كلام دونالد ترامب الجديد بشأن كولن باول، كي لا يترك فم التاريخ مفتوحا على الماضي فقط، فترامب استطرد في الضرب على ذلك الوتر مؤكدا أن باول هو المسؤول الأكبر عن دخول البلاد في حرب كارثية في الشرق الأوسط، وذكر مرة أخرى بان باول قال إن العراق كان يمتلك أسلحة دمار شامل، لكن تبين له أن العراق لا يمتلك هذا النوع من الأسلحة، ورغم علمه بذلك أقحم البلاد في الحرب.

### اعتذار متأخر

في الخامس من فبراير عام 2003 جلس كولن باول، وزير الخارجية آنذاك، في الأمم المتحدة ليبرر للعالم الغزو الأميركي للعراق.

واستمد باول ثقته من منصبه آنذاك، ومن تاريخه الطويل كأول أفريقي يتولى إدارة مسؤولية كبيرة في الإدارة الأميركية، فحتى الآن يُعتبر الأميركي ذو الأصل الأفريقي الوحيد الذي يعمل في هيئة الأركان المشتركة، أكبر هيئة عسكرية أميركية، فضلا عن أنه كان رئيسها طوال أربع سنوات.

في تلك الجلسة شرح باول تفصيليا لماذا ليس أمام العالم أي اختيار إلا غزو العراق. جلسة اعتذر عنها باول لاحقا، وقال إنها كانت هفوة منه وخطأ فظيلا سوف يظل في سجلاته إلى الأبد، لكن الوقائع المتتابعة كشفت أن باول لم يخطئ، بل كذب. لقد اختلق أدلة كاملة، وتجاهل كل التحذيرات الدولية والفرنسية خصوصا التي كانت تشكك في صدق ما يقول.

وقال في الجلسة "زملائي، كل بيان أدلي به اليوم مدعوم بمصادر، ومصادر راسخة، هذه ليست مجرد دوافع، ما تقدمه لكم هو حقائق واستنتاجات تستند إلى عمليات استخباراتية قوية" لكن لاحقا بعد عدة سنوات من عدم عثور الولايات المتحدة على شيء بدأ باول يتراجع مستخدما عبارات مثل "كان الأمر شكا يصل إلى درجة اليقين". وكانت بعض الحقائق التي قدمها باول ملفقة بصورة فجة، منها ترجمته الإنجليزية لمحادثة اعترضتها

يفتح متن كتاب جديد صدر مؤخرا عن دار بنغوين، ملف حرب احتلال العراق التي لم تنته بعد تداعياتها على بلد يدرج عادة في قائمة البلدان الفاشلة بينما كانت مسوغات الحرب آنذاك مصادرة أسلحة الدمار الشامل وتحويل البلاد إلى واحة ديمقراطية. فلم يتم العثور على الأسلحة وتحول العراق إلى مثال للطائفية والإرهاب.

استقرار المنطقة، عهد شيراك لوزير الخارجية في حكومة جان بييار رافاران، دومينيك دو فيلبان، مهمة قيادة المعركة الدبلوماسية في الأمم المتحدة. وأعلنت فرنسا في الرابع عشر من فبراير عام 2003 معارضتها للحرب على العراق عبر كلمة مدوية لوزير الخارجية الفرنسي. حظي موقفه من الحرب بالتصفيق في مجلس الأمن وهي ممارسة نادرة في هذه المؤسسة.

وقال دو فيلبان حينها "في صرح الأمم المتحدة هذا، نحن حراس المثالية، وحراس الضمير. المسؤولية الثقيلة والشرف الكبير الذي نملكه يجب أن يقودنا إلى إعطاء الأولوية لنزع السلاح في سبيل السلام. فرنسا بلد عجوز، وأوروبا التي أنا منها قارة عجوز، تقول لكم هذا اليوم، أوروبا التي عرفت الحروب والاحتلال والهمجية".

واليوم يستعيد روبرت دريبر الصحافي في نيويورك تايمز، كل تلك الملفات في كتاب جديد صدر مؤخرا عن دار بنغوين بعنوان "البدء حرب: كيف أخذت إدارة بوش أميركا إلى العراق". ويركز في أكثر من فصل على تجربة وزير الخارجية آنذاك كولن باول، ربما لأن اعتذاره عن كذبة غزو العراق لم يكن كافيا، إلا أن استعادة النضائح التي قدمت إلى إدارة بوش لم تكن كافية أيضا أمام أعين عمياء تسير باتجاه الحرب المدمرة.

ولم تكن الحرب آنذاك تنتهي بسقوط صدام حسين، هناك 25 مليون عراقي موزعون على 18 مدينة، ماذا بشأنهم؟ ويكتب دريبر "بينما جلسوا على الشرفة في منزل على الشاطئ، روى باول في لقاء على العشاء لنظيره وزير الخارجية البريطاني آنذاك جاك سترو، قائلا القضاء على صدام حسين هو الجزء السهل، ما ينتظرنا 25 مليون عراقي في 18 محافظة منكسمة".

لقد تحدثت الوزيران الحليفان الأميركي والبريطاني آنذاك لمدة ثلاث ساعات، بشكل حزين، إلا أن ذلك الكلام قد يكون مفيدا للتاريخ، لكن الحرب قائمة بالتأكيد.

وتلك وصمة في تاريخ الدبلوماسية الأولى في عهد الرئيس الجمهوري جورج دبليو بوش، ورئيس هيئة الأركان المشتركة ومستشار الأمن القومي سابقا

لندن - ما زالت الشاشات تذكر الكلام الأهم آنذاك وكان تسويغا كبيرا لاحتلال العراق، عندما أعلن وزير الخارجية الأميركي آنذاك كولن باول أن بلاده تمتلك أدلة قاطعة على إخفاء العراق أسلحة دمار شامل، وهو سبب كاف يجعلنا نحرك الجيش الأميركي لتخليص العالم من شرور هذا البلد. ولن ينسى هذا الكلام حتى وإن أعلن باول في ما بعد عن ندمه لإطلاقه بعد أن اكتشفت كذبة أسلحة الدمار الشامل التي يخفيها العراق؛ إلى درجة أن الرئيس الأميركي دونالد ترامب رد قبل أسابيع على باول عند انتقاده واصفا إياه بالكذاب.



روبرت دريبر يجيب في الكتاب عن سؤال كيف أخذت إدارة بوش أميركا إلى العراق

وفي تغريدة سخر ترامب من الدعم الذي حصل عليه منافسه الديمقراطي جو بايدن من رجل له سمعة "مبالغ فيها".

وعاد الرئيس الأميركي إلى ما حصل عام 2003 قائلا "الم يقل باول إن العراق كان يملك أسلحة دمار شامل؟ لم يكن يملكها لكننا ذهبنا إلى الحرب". وباول الذي كان من أشد المدافعين عن غزو العراق، قدم في الخامس من فبراير عام 2003 أمام مجلس الأمن الدولي عرضا كاملا حول أسلحة دمار شامل يملكها العراق وشكلت نزعها لغزو هذا البلد. واعترف باول في ما بعد بأن ذلك "لطخ" سمعته. وقال "إنها وصمة لانتني أنا من قدم هذا العرض باسم الولايات المتحدة أمام العالم، وهذا سيبقى جزءا من حصيلة عملي".

لم يستمتع باول الذي شغل رئيس أركان القوات الأميركية ومن بعدها وزيرا للخارجية في فترة الرئيس جورج بوش الابن، إلى النضائح الفرنسية آنذاك وأصر على الحرب تقوده كذبة شنيعة راح ضحيتها مئات الآلاف من العراقيين والأميركيين.

كانت فرنسا على سبيل المثال رافضة لهذه الحرب وإن الرئيس جاك شيراك مفتتح بان الخوض في حرب سيزعزع

## الوباء يظهر وجه نيويورك الوحشي: بطالة وتفكك وإجرام

على صعيد البيئة، الأزمة الحالية لتخصص مساحة أكبر للمارة وراكبي الدراجات. وبات من الممكن رؤية بعض التغييرات التي ظنها الناشطون البيئيون مستحيلة حتى الآن، فعدد راكبي الدراجات ارتفع بشكل كبير مع الوباء، كما أن أكثر من 160 كلم من الطرقات أغلقت أو ستغلق قريبا أمام السيارات.



بيل دي بلازيو  
نعيش إحدى أكبر اللحظات الأليمة والاستثنائية في تاريخنا

ويرى أندرو المسؤول التجاري الأريغيني في توسع المطاعم على الأرصفة "صورة تقاتل"، إذ فتحت حوالي تسعة آلاف مساحة خارجية خلال بضعة أسابيع بعدما عمدت البلدية إلى تسهيل الإجراءات للتعويض عن إغلاق الصالات.

وينشط سكوت إيلارد الذي يملك ناديا معروفا للموسيقى الجاز في منطقة غربنيش فيلديج، حاليا لتحويل شارعه للمارة، وهو يطمح لفتح مساحة خارجية لناديه بعد أربعة أشهر من الإغلاق.

كانت هجرة الطبقات الوسطى، ومعظمها من البيض، تتجر في عنصرية باتت في تراجع، أقله بين الشبان، وهو ما أظهرته على حد قوله تظاهرات حركة "حياة السود مهمة" (بلاك لايفز ماتر) مؤخرا. وأوضح أن التوجه حاليا هو لـ"نهضة المدن" حيث تطورت نوعية الحياة لتوفر المزيد من الفرص الشخصية والترفيهية والمهنية.

وهذا ما يؤكد كيلي سكوت (30 عاما) الذي يعمل في القطاع العقاري عبر الإنترنت. فهو غادر نيويورك قبل سنتين مع زوجته طيبة الأطفال ليقيم في ضاحية جميلة، قبل أن يصابا بخيبة أمل.

ويقول إن الضواحي توفر "المزيد من المساحة، وحياة عائلية أفضل ونوعية حياة أفضل" لكن "ليست هناك الفوائد ذاتها كما في المدينة".

ويعتزم الزوجان اللذان لديهما الآن طفل عمره سبعة أشهر البقاء في مدينة "تعيد ابتكار نفسها على الدوام"، أمليين في اغتنام تراجع أسعار العقارات لشراء شقتيها الأولى.

وتعتقد أيضا كاسن نور أستاذة تخطيط المدن في جامعة ولاية ميشيغن أن نيويورك ستحسن "التكيف مع وقائع الوباء"، داعية أن تغتنم المدينة الرائدة

كثيفة إلى ضواحي أمنة. لكنه رغم ذلك يتفادى التهويل وعلى غرار العديد من النيويوركيين، يعيد الأمور إلى نصابها، مذكرا بان المدينة "شهدت أوبئة أسوأ من الوباء الحالي" معددا الكوليرا في القرن التاسع عشر واعداءات 11 سبتمبر 2001 التي توقع البعض على إثرها "ألا يعود أحد يريد العمل في ناطحة سحاب".

فلم يعد من الوارد أن يهجر السكان وسط المدن كما في السبعينات، حين



كورونا يعيد الحقبة السوداء

وعلق المؤرخ المتخصص في نيويورك في جامعة كولومبيا كينيث جاكسون "إنها عاصفة مثالية بمعنى ما من الأحداث السيئة".

وقال الأستاذ الجامعي الذي غادر مانهاتن منتقلا إلى الضواحي مع انتشار الوباء، إن الوضع يذكر بالحقبة السوداء في السبعينات والثمانينات، حين عانت نيويورك من تفشي الجريمة وسط أزمة مالية حادة، ما أثار هجرة

حصول موجة ثانية من الوباء الذي يواصل تفشيه في الولايات المتحدة.

غير أن أربعة أشهر من الأزمة الصحية بذلت معالم المدينة البالغ عدد سكانها 8.5 مليون نسمة والمعروفة باكتظاظها وسيطرة النزعة الاستهلاكية عليها، فباتت السياحة مشلولة وأبراج المكاتب شبه مقفلة والعديد من المتاجر مغلقة فيما ارتفعت نسبة البطالة في صفوف القوى العاملة إلى 20 في المئة.

وإن كانت المدارس تأمل في إعادة فتح أبوابها في سبتمبر، فإن البلدية لا تتوقع سوى ثلاثة أيام من الصفوف في الأسبوع كحد أقصى، ما سيمنع العديد من الأهل من معاودة العمل بشكل طبيعي.

أما الإجرام الذي يشهد تراجعا متواصلا منذ منتصف التسعينات، فعاد الارتفاع مؤخرا، وأحصت الشرطة في آخر أرقام أصدرتها 634 حادث إطلاق نار و203 جرائم قتل منذ يناير، بزيادة 60 في المئة و23 في المئة على التوالي بالقرارة مع الفترة نفسها من العام 2019. وغادر بعض السكان المدينة تاركين الآلاف من الشقق فارغة، ولأول مرة منذ عشر سنوات، تدنت الإيجارات في حي مانهاتن بشكل طفيف في الفصل الثاني من السنة بنسبة 0.9 في المئة، بحسب موقع "ستريت إيزي" للعقارات.

نيويورك - غرقت نيويورك مع انتشار وباء كوفيد - 19 في أزمة متعددة الوجوه بين ارتفاع البطالة وزيادة الإجرام

ومغادرة أعداد من السكان، ما أثار قلق البعض فيما رأى آخرون في ذلك فرصة للمدينة المعروفة بحيويتها لتعيد ابتكار نفسها نحو الأفضل. وأعلن رئيس بلدية نيويورك بيل دي بلازيو الجمعة "نعيش ربما إحدى أكبر اللحظات الأليمة والاستثنائية في تاريخنا (... لحظة تفكك اجتماعي عميق".

الجرائم منذ يناير في نيويورك

- 634 حادث إطلاق نار
- 203 جرائم قتل

ومع وفاة أكثر من 23 ألف شخص جراء فيروس كورونا المستجد في نيويورك، باتت العاصمة الاقتصادية للولايات المتحدة المدينة الغربية الأكثر تضررا جراء الوباء. وبالرغم من التراجع الكبير في عدد الإصابات منذ مايو، لم ترفع تدابير العزل في نيويورك إلا بشكل جزئي خشية